شعر الفتوح الإسلامية

بعد الانتهاء من حروب الردة انطلق العرب المسلمون إلى الجهاد في سبيل الله فاتحين محررين وناشرين لتعاليم الإسلام في كثير من أرجاء المعمورة.وكان الشعراء المسلمون في طليعة الجيوش الإسلامية التي خرجت لجهاد الفرس والروم.فقضت على دولة الفرس واستولت على أهم ولايتين تابعتين للروم وهما الشام ومصر.وكان الشعراء في أثناء هذا الجهاد ينظمون أناشيد حماسية يتغنون فيها بانتصاراتهم ويتمدحون بشجاعتهم وما يبذلونه في سبيل الله ودينه.أما هدفهم الذي خرجوا من أجله فهو النصر لإعلاء كلمة الله او الشهادة ودخول الجنة.

وقد ترددت المعاني الإسلامية الجديدة في أشعار هؤلاء الشعراء المجاهدين الصادقين.

وإذا وقفنا- مثلا-عند موقعة واحدة بين المسلمين والفرس وهي معركة القادسية وجدنا كثيرا من الأشعار .فهذا أبو محجن الثقفي الذي حبسه سعد بن ابي وقاص لولوعه بشرب الخمر يتوسل إلى سلمى زوج سعد لكي تطلقه من قيود السجن واعدا إياها بالعودة إلى قيده بعد انقضاء المعركة.فأطلقته وأبلى في قتال الفرس بلاء منقطع النظير.وعاد إلى سجنه وهو ينشد

لقد علمت ثقيف غير فخر بأنا نحن أكرمهم فعالا

فإن أحبس فقد عرفوا بلائي وإن أطلق أجرعهم حتوفا

ومن الفرسان الابطال في هذه المعركة عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي كان قد أسلم وهو أحد أبطال الجاهلية وفرسانها وهو القائل في القادسية

والقادسية حين زاحم رستم كنا الحماة منها كالأشطان

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

وفي هذه المعركة أبدى قيس بن مكشوح المرادي ابن أخت عمرو بن معد يكرب شجاعة فائقة وهو الذي قتل رستم قائد الفرس.يقول في ذلك

جلبت الخيل من صنعاء تردي بكل مدجج كالليث سامي

إلى أن يقول

وقد أبلى الإلاه هناك خيرا وفعل الخير عند الله نامي

ويبدو التأثر بالمعاني الإسلامية واضحا في البيت الأخير.

ومن أبطال القادسية بشر بن ربيعة الختعمي.يقول مصورا بلاء قومه في هذه المعركة

إذا ما فرغنا من قراع كتيبة دلفنا لأخرى كالجبال تسير

ترى القوم فيها واجمين كأنهم جمال بأحمال لهن زفير

ويقول عمرو بن زيد الخيل

برزت لأهل القادسية معلما وما كل من يغشى الكريهة يعلم

ويعبر الشاعر جميل بن سعيد عن عقيدة المجاهدين الصادقين في القتال حين يقول

ولست أبالي إن قتلت لأنني أرجي بقتلي في الجنان مقامي

ومجاهد آخر يهزه الحنين إلى موطنه الأصلي ببلاد نجد فيقول

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر

وقد وصف الشعراء المجاهدون كثيرا مما شاهدوه في فتوحهم من المعاقل والحصون والحيوان كالفيل. وتحدثوا عما نزل بهم من اوبئة وطواعين.ويتسم هذا الشعر بالإيجاز فهو شعر اللمحات السريعة والمواقف الخاطفة.ومعظمه لذلك مقطوعات قصيرة يجري فيها الشاعر على سجيته دون تصنع أو تكلف.

ويعد شعر الجهاد من أهم العوامل التي أذكت جذوة الشعر وجعلته يسيل على ألسنة المجاهدين رغم أن البعض حاول أن يرجع إليه انشغال العرب عن قول الشعر.وقد فتح الجهاد آفاقا جديدة أمام الشعر العربي تجلت في شعر الحنين ورثاء النفس والأعضاء واحتسابها في سبيل الله ووصف الطبيعة الجديدة في الميادين والأمصار المفتوحة.

وهكذا كانت الفتوح نعمة على الشعر في هذه الفترة لأنها أذكت جذوته وأبرزت شاعرية كثير من الشعراء المغمورين الذين لم يعرف لهم شعر قبل اشتراكهم في هذه الفتوح.كما أنطقت أشخاصا آخرين بالشعر لأول مرة وخير نموذج لهؤلاء القعقاع بن عمرو التميمي.

أما عن وظائف شعر الفتوح الإسلامية فهي كثيرة ومشرقة في تاريخ الشعر العربي.فقد قدم هذا الشعر صورا عديدة للفروسية العربية في إطارها الإسلامي وعبرفي كثير من الأحيان عن نفحات الإيمان القوية والتصديق العميق بما وعد الله به المجاهدين من عباده وسجل معارك المسلمين ونتائجها وصداها في نفوس أولئك المجاهدين وما خلقته من ظروف الاغتراب والبعد عن الاوطان وما يرتبط به من حنين إلى الأهل والأحباب فيها.وقد

يعرج الشعر على بعض المشاهد الغريبة التي عاينها المسلمون لأول عهدهم بها في مناطق نائية.فيصور انطباعاتهم بها وانعكاساتها على أنفسهم .وقد ينهض هذا الشعر برثاء المقاتلين الذين فازوا بالشهادة في ميادين الجهاد.وكثيرا ما يعمد شعراء الفتوح إلى الفخر الشخصي مباشرة ويقصرون شعرهم على التمدح ببطولتهم وإقدامهم وفعلهم في العدو.إلى غير ذلك مما عالجه هذا الشعر.وكان بلاء المسلمين في حروب الفتوح نتيجة لأثر الإسلام والقرآن خاصة في نفوس المجاهدين.وهذا ما جعل العرب المسلمين الفاتحين يشعرون بالثقة والاعتداد بأنفسهم والاعتزاز بدينهم وهم يرون هذه الممالك القوية والعريقة في الحضارة تتهاوى تحت ضربات سيوفهم بعد أن كانوا يسمعون بالروم أو الفرس فيداخل أنفسهم الخوف .